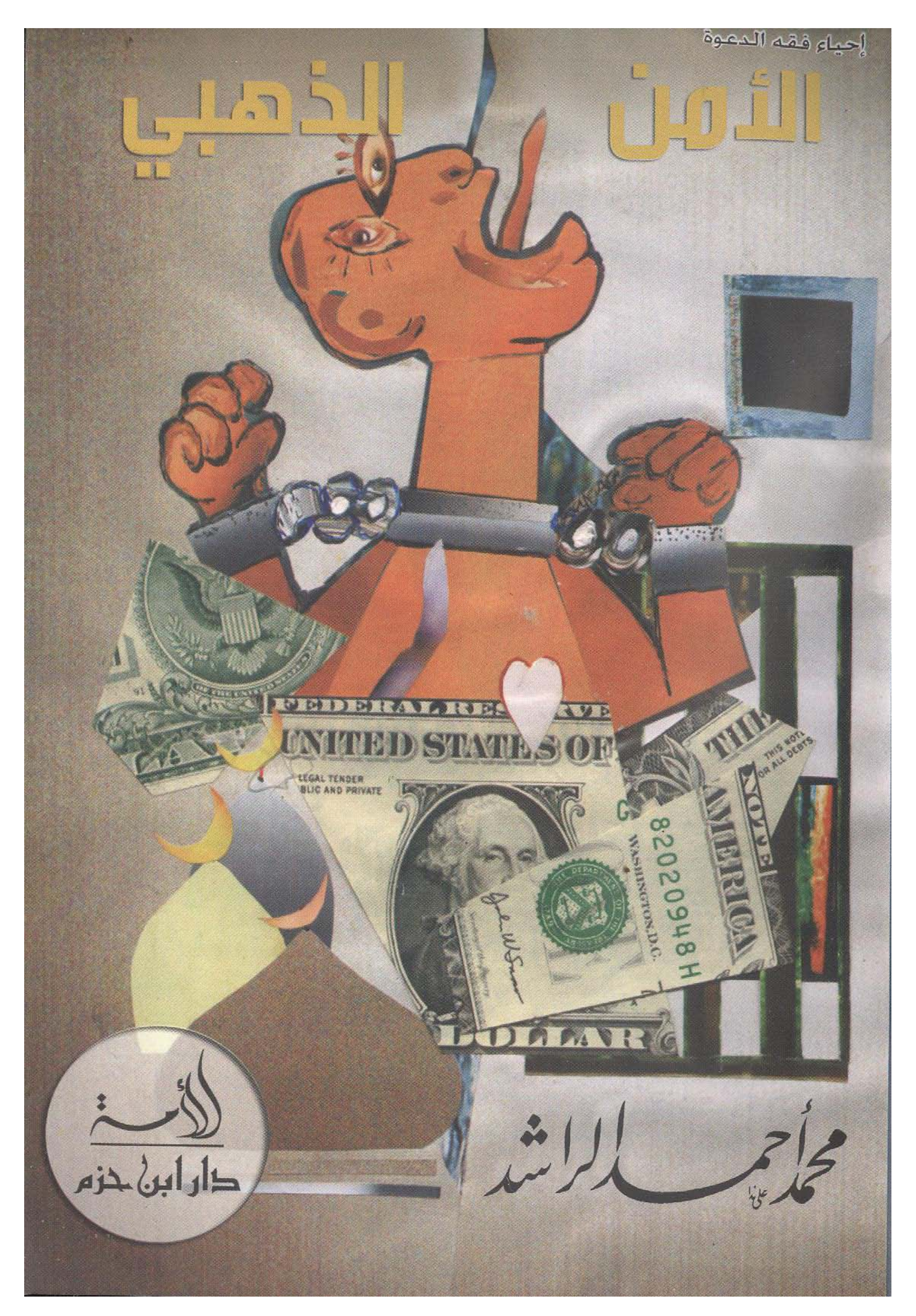


إحياء فقه الدعوة
الأمن الذهبي
محمد أحمد الراشد
الأمة
دار ابن حزم
FEDERAL RESERVE
UNITED STATES OF
LEGAL TENDER
BLIC AND PRIVATE
THE
AMERICA
NOTE
THIS NOT
OR ALL DEBTS
B2020948H
WASHINGTON, D.C.
DOLLAR

إحياء فقه الدعوة

سلسلة

استراتيجيات الحركة الحيوية

الرسالة الثانية عشر

الأمن الذهبي

فخرٌ بسيماء المصلين وأثرها في بعث الثقة

وأن فقر الدعاة وسائر المؤمنين هو حكمة ربانية تتيح عمق التجرّد

من أجل أن تدفعهم لزعة الفقر إلى المطالبة بحقوق المستضعفين

واستعراض النتائج السلبية للسياسة النقدية التي تتجاوز الرصيد الذهبي

مع كشف أصول الوعي المالي لدى أجيال الدعاة في القرون الماضية

وتحذير من إلجاء التضخم النقدي إلى سياسة تعاون مع المستعمرين

مما يوجب قيام دعوة تأمر بالإصلاح والمعروف الاقتصادي.

محمد أحمد الراشد



((رموز الغلاف))

« سطوة الدولار، والتضخمات النقدية
وتجاوز قاعدة الغطاء الذهبي للعملات
أرهقت الشعوب، وكبّلتهم بالأغلال
حتى جحظت العيون خلف القضبان
لكن قلب الحُر يبقى نقياً فوق الدولار
وهلال الإيمان لا تحجبه عولمة »

المملكة العربية السعودية
www.alrashid-online.com
الطبعة الثانية
١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

الرياض / المملكة العربية السعودية



نتواجد
دار الأمة للنشر والتوزيع
01/2481705
دار الأندلس الخضراء / جدة
02/6815027



للتواصل 01 2481905
02 6810578
alomah@gawab.com



الموزعون 0554481905
0544046062

((الغلاف من فن الراشد))

□ □ إشارات الحركة مبثوثة، ولكن لأن الموضوع ليس حيّاً في فكرك: فإنك ربما لا تنتبه إلى هذه الإشارات، كالمعنى المودع في الآية الكريمة: ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثا﴾ النحل/ ٩٢.

فالقوة هنا: معناها الحركة التي هي طاقة قد تحولت إلى قوة كامنة، أي أن الحركة الدائرية اللولبية المغزلية استحالت إلى قوة مستديمة مخزونة في الخيط، وهذه حقيقة مهمة في تحريك الحياة تعني بالتالي أنه يمكن تكثيف الحركة وإنتاجها وخزنها في شكل تراكمي لاستعمالها فيما بعد من خلال قرار واختيار ورؤية تخطيطية، فكما يكون الغزل والخيط مرحلة لإنتاج الملبوس: تكون القوة المحجوزة المدخرة مرحلة لإنتاج حركة مدروسة إنتاجية، ومثال ذلك: الحماسة ومعاني العزة والشمم: نودعها في قلوب حية تعشق المعالي، ونلقنها ذلك، فتكون القلوب مخزناً للمعنويات السامية، حتى إذا رأينا الأوان المناسب: أطلقناها، فتنطلق هادرة لها أكبر التأثير، وعلى هذا المثال تجري كل العمليات التربوية المنهجية، فإنها في حقيقتها كتلة من المعاني نخزنها في القلوب، ثم نتحكم في كيفية وأوان صرفها، كمثل إطلاق مياه سد مائي: تهبط بزخم وعزم على أجنحة التوربينات، فتديرها، فتتولد طاقة تتحكم بها الهندسة.

" ومن أقرب الدلائل الإيمانية في إقرار هذا المعنى وإسناده والشهادة له بالصحة وشرح كيفية تحول العمل العبادي إلى حركة ووسيلة تأثير وربط وتوجيه في طريق مرسوم مخطط سابقاً: رؤية أثر (الصلاة)، **فإن تكرار الصلاة يوماً بعد يوم، آناء الليل وأطراف النهار: تتولد منها حركة مخزونة في وجه المصلي** بعامة، هي (السيماء) المميزة الآسرة للناظرين، فإذا أحسّ بها الناس: اقتدوا بالمصلي، واعتقدوا فيه الصلاح، فيقتفون خطواته ويتبعون نصيحته، **فتتركب كتلة من (الولاء) هي مليونية الأجزاء، وينضم جزء صغير جداً إلى جزء مثيل، إلى**

أخريات، فتكون الكتلة الكبيرة جداً ذات الثقل الضخم والوطأة العظيمة، فيترجح الصف الإيماني على الغثاء الفجوري، وتكون حركة التغيير، وذلك هو سر ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ الفتح / ٢٩.

(قال ابن عباس رضي الله عنهما: السمتُ الحسن هو السيما، وهو خشوع يبدو على الوجه، وهذه حالة مكثري الصلاة لأنها تنهاهم عن الفحشاء والمنكر، وثُقل الضحك، وتردُّ النفسَ بحالة تخشع معها الأعضاء.) (وقال منصور: سألت مجاهداً: هل السيما هي الأثر يكون بين عيني الرجل؟ فقال: لا، وقد تكون مثلَ ركبة البعير وهو أقسى قلباً من الحجارة. وقال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس: السيما: حُسنٌ يعتري وجوه المصلين، وذلك أن الله تعالى يجعل في عين الرائي حُسناً تابعاً للإجلال الذي في نفسه، ومتى أجَلَّ الإنسان أمراً: حَسُن عنده منظره.)[1].

وهذا هو الذي لا يستطيع المنافس مجاراتنا فيه، فإنه قد يجمع بالمال والمصالح والتخويف ملايين الهتافين والمتظاهرين، ولكن الوجوه كالحة، لأن قلوب الزعماء مظلمة، وصنعة (**التجميع الصامت لأجزاء الحركة الاستراتيجية**) هي صنعتنا و(ماركتنا) المسجلة، وبها نصول ونجول، ويخسأ من لم يسجد لله أن يحاول تزوير مثلها.

" لكن العمل الإيماني ليس هو تخزين طاقة فقط، وتكوين ولاء فحسب، بل هو معادلة تامة، وطريق إنتاجي هادف، والإشارة التي تذم الحمقاء التي تنقض غزلها: تتضمن أن الخيوط ينبغي أن تُنسج وتكون أردية وسرابيل تقينا البرد والحر، وأن يُستثمر الولاء في تنمية اجتماعية واقتصادية وسياسية، وإلى هذه الطبيعة الإنشائية أشار مَن وَصَفَ الحازم بأنه: (إذا أسّس: بنى، وإذا غَرَس: سقى، ليستتمّ بناءُ أسّه، ويجتني ثمار غرسه.)[2]، وطريقتنا تضبطها متوالية هندسية، من صفة حركتها أنها: نفضات مغرمة بالمضاعفة والتحول الكبير بالضرب، وأما تواليها

العَددي الوديع بالجمع فتأتيه من باب الضرورة عند الضيق، وتلك هي رياضياتها الإيمانية.

□ على بساط الفقر.. يأتمر الإصلاحيون

□ لذلك من شأن المؤمن أن ينتدبه الله تعالى للأعمال الكبيرة والمهمات الجسيمة، لأنه مؤهل لذلك، وقد اعتاد النقلات الواسعة والخطوات المضاعفة، وشاهده قول الله تعالى ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلا﴾ المزمل/ ٥.

قال ابن عطية: (قال حُذّاق العلماء: معناه: **ثقيل المعاني من الأمر بالطاعات والتكاليف الشرعية، من الجهاد ونحوه**، ومزاولة الأعمال الصالحة دائماً.)[٣].

ثقيلاً ليس على النبي فقط، بل على أمته أيضاً، لأن الخطاب في هذا القول خطاب عام لكل مؤمن، وتمام الشاهد في الآية الأخرى: ﴿إنه لقول فصلٌ وما هو بالهزل﴾ الطارق / ١٣-١٤، والإنسان الهازل عن طريق الإيمان أبعد.

" **ومن سُنن الحركة الحيوية: أن صاحب الغرض، ومَن يعشق هدفا: ليس يلتذ براحة، بل يقلق ويتحرك ويدأب، ليصل إلى غايته**، كما فعل محمد بن اللبّانة في موشحه الأندلسي[٤] حين طفق يحث ناقته:

يا ناقتي الكوما   جوبي على اسم الله   واطوِ اليَبابْ
لا تطمعي نوما   ما دام من أهواه   نائي القِبابْ

وهذه صورة من صور حركة الحياة واعظة، بمثلها كان وصول مَن وَصَل، وأما النائم والمترخص والكسلان والبطيء فهم أمثلة الفشل.وأقل حالات الجاد: أن يستحضر الصورة، وتكون لوعةٌ تكوي فؤاده.. وهي نصائح ابن اللبانة في موشحه الآخر[٥]..

هِمْ بالخيالِ   ودِن بالوجدِ   وحُثَّ الأدمُعِ
إثر الركابِ   فحالُ البُعدِ   حال التفجّعِ

وبمثل هذه العاطفيات الجياشة ذات الزخم: عمرت حياة المؤمنين بالإنتاج والتقدم الدائم، ولأنهم جماعة، ويلمهم المسجد، فقد كانوا دائماً تياراً أو قافلة،

ويسير الضعيف منهم بحركة القوي، وبه يلتحق، ومن بركات همته ينال، بل محض الإيمان يجعلنا نوقن بوجود ملائكة تصحب الركب الرحماني تربت بأجنحتها على أكتاف البطيء والتعبان، فتدفعهما إلى موازاة الأقوياء.

" ووجدت من خلال التدبّر والمقارنات: أن الفقر، والبلوى بصورة عامة، هما من هذه (الأثقال) التي ندب الله المؤمنين لاحتمالها، لحكمة يراها.

فقد كتب الله الفقر على الفقهاء، الذين هم دعاة الإسلام في هذا الزمان، ولما طفق المقريزي في أوائل القرن التاسع الهجري يعدّد أقسام الناس بمصر قال: (القسم الخامس: الفقراء، وهم جُلّ الفقهاء وطلاب العلم.)[٦].

ومن ظواهر الحياة التي انتبه لها التاجُ السُبكي قبل المقريزي: التناسب الطردي بين زيادة الإيمان وحجم الابتلاء، فقال: (وإنا قد اعتبرتُ: فوجدتُ القاعدة المستمرة في هذه الأمة: أن كل مَن كان أكثر إيماناً: كانت الدنيا عنه أكثر انزواءً، والأكدار عنده أكثر ممن دونه. ولذلك كان أشد الناس بلاءً: الأنبياء، ثم الأمثل.). (وإن عددت مَن جُمع له العدل و الملك، أو العلم و المال، أو التقوى و المال: لم ترَ إلاّ آحاداً محصورين، وأناساً كانت الدنيا في أيديهم لا في قلوبهم، وكان ذلك لمصلحةٍ اقتضتها حكمة الربّ تعالى، خرجوا بها عن القاعدة.)[٧].

وتأويل ذلك عنده أن الله (يريد تطهيرهم من الأدناس، ويحب تصفية قلوبهم من الوسواس.). واستشهدّ بقول التهامي (طبعُ الزمانِ: عداوةُ الأحرار).

وعند السبكي أن (المنطق الواقعي) يؤيد ذلك، ويقول: (أليس إذا عادَلَ العالِمُ بين العلم والفقر، والجهل مع الغِنى: وَجَد علماً بفقر خيراً من جهلٍ بغنى؟ وتقوى بانكسار خيراً من فجور باستكبار؟)[٨].

" وقد نظرت في حرمان الدعاة من المال: فإذا بي أتذكر وأنا أقرأ دعاء (اللهم إنا نسألك من كل خير سألك منه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم): أن الله تعالى أعطاه التوحيدَ والإيمان، والقرآن والحكمة، وعزيمة النفس وزكاءها، ومكارم الأخلاق والقناعة وفصل الخطاب، ولم يؤته المال والغِنى، بل عاش فقيراً مُقِلاً،

وأحرى بالدعاة أن يقنعوا بشيءٍ مما أعطاه الله لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، وأجدر بهم أن لا يستغربوا الفقر، فكأنه هو الفقر الذي يُربي الأنفُس، والمال يطغيها، وذلك هو الغالب، ووجود العكس أندر، ولله الحكمة، ولسنا نغفل عن حسنات المال ووجوب طلبه، فإن رسائل الحركة الحيوية وصفحات منهجية التربية الدعوية وأصول الإفتاء قد امتلأت حثاً وزينت للدعاة التجارة والصناعة وطلب الثراء، ولكنْ إن بذل الدعاة الأسباب ثم رجعوا بلا مال فليصبروا، وليعلموا أن الله وهبهم ما هو أثمن وأنفع وأنفذ في تحصيل الجاه والاستمتاع بالحياة وإتقان فن تحريكها.

□ وكالة الدعاة عن أموال المسلمين وحقوقهم

□ ولكن هذا السلوك الإيماني في قضية المال إنما هو السلوك الفردي الذي يليق للدعاة، فإنهم قدوات، وعليهم الصبر على الفقر ومحاولة تعليم الناس أخلاق العفاف والكرم والبراءة من الطمع والجشع، ولكن الإيمان والوعي ومنهجية الدعوة في رعاية مصالح الأمة ودفعها نحو التنمية والتطور المدني، وخطط الدعوة في الإصلاح والاستدراك ومعاناة سبيل الجهاد وإتقان حيازة العلوم والمعارف والمنافسة في درب الحضارة: كل ذلك يشير إلى «سلوكٍ إيماني دعوي ثانٍ في قضية المال» تحتمه الطبيعة الجماعية و الممارسة السياسية، و فحوى هذا السلوك أن نحرص على أموال الناس أن يهدرها مفسد، وكأنها أموالنا نحن، لأنها تشكل الثروة العامة للأمة وإن كانت بيد فاسق وغافل، وبها تكون التنمية ويكون الجهاد، وقد تنتقل إلى الأيادي الطاهرة بُطرق الحلال بعد لبثها دهراً في الأيادي الملوثة، وأكثر الثروات اليوم ما زالت معدناً خاماً وملكاً عاماً ينبغي أن يقسم بالسوية أو تُبنى به الدولة ويكون تسخيره لتوفير حاجات المجتمع، وعلى الدعوة أن تفرض رقابتها على الحكام الذين يستخرجونه أو يجمعونه من خلال الضرائب، لأن الدعوة هي وكيلة عموم المسلمين في الحفاظ على أموالهم وحقوقهم، وأدنى حالاتها التي لا خلاف فيها ولا تحتمل الجدل والنقاش: أنها

وكيلة عن أعضائها وكتلة الموالين لها والمفوضين لها أن تتكلم باسمهم وتحمل همومهم، والانتماء إلى تنظيم الدعوة وحزبها، أو الإدلاء بالصوت الانتخابي: هما وكالة شرعية تامة الأركان والصيغة، لوجود عنصر الرضا والقناعة بجدارة الدعاة المتصدين، والمنطق في هذا واضح لمن يريد أن يستقيم، وهي وكالة تتيح للإعلام الدعوي المتمثل في صحافة وقنوات فضائية ومواقع إنترنيت، ولمجموعة النواب الدعاة في البرلمان، ولقادة الدعوة والسياسة الإسلامية: أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر في الموضوع المالي والاستثماري والنفطي والتعديني والصناعي والزراعي والتنموي بشكل عام، فإن التخويل لهم عريض، ولسان الموكلين لهم فصيح، وقضية (التضخم النقدي) اليوم هي على رأس هذه القضايا الاقتصادية التي تتوكل فيها الدعوة عن عامة المسلمين، ويجب أن تأمر بمعروف العودة إلى قاعدة التعامل بالذهب والفضة فقط، فإن مثل هذه الموعظة الدعوية المنسية الآن كانت هي ديدن الدعاة الوعاة القدماء، مثل المقريزي والجبرتي في عصريهما، والراغب الاصبهاني قبلهما.

□ نظرية المقريزي المالية تلتقي مع نظرية الإصلاح الدعوي

□ وبعدما فرغتُ من تهذيبِ (معيد النِعَم) واكتشاف جذر الإصلاح الدعوي في كلام السُبكي: **قرأت كتاب (إغاثة الأمة بكشف الغمة) للمقريزي قراءة استيعاب وتدبّر، فوجدت فيه جذراً ثانياً للنظرية الدعوية الإصلاحية، ورأيتُ أن فكرته المركزية في الإصلاح تستقر على محورين: محور علاج الفساد الإداري الذي يمارسه رجال الدولة، ومحور إرجاع النظام النقدي إلى الذهب والفضة بدل النحاس والأوراق المطبوعة بلا رصيد**، وما زال هذا النظر الصائب المستند إلى حجج واقعية منطقية هو المنطق الأقوى الذي يفرض نفسَه عند الجدل المستمر، وهذه توجهات استراتيجية في تحريك الحياة نحو الخير بعدما طال وقت الغش وسحق المستضعفين، ولأن الميزان ميزان شرعي، والمرجع الإيماني واحد، فإن توجهات المقريزي في التحليل والتسبيب وتشخيص الداء والدواء: جاءت

متوافقة مع مذهب السُبكي في مسألة الإصلاح، وكما كان السبكي صريحاً في نقد أمراء ووزراء زمانه: كان المقريزي، بل ومع ألفاظ أصرح، **وأبدع السبكي إبداعاً حين أبدى ألمه لأوضاع الفلاحين وتعبهم وإملاء رجال الدولة وجُباة الضرائب أصعب الشروط عليهم، فنادى بحريتهم ووجوب رفع الظلم عنهم، وكذا كان منحى المقريزي في الانتصار لهم ولعموم المستضعفين، ولكن إبداع المقريزي بالمقابل إنما كان في الإدلاء بمعلومات عظيمة القيمة عن النقود والسياسة النقدية وجهل الأمراء والتجار في (كشف الاقتصاد) وتعريضه للهزات المدمرة بسبب تجاوز مبدأ التعامل بالذهب والفضة**، وما زال هذا الداء ينخر في اقتصاديات الدول اليوم كما كان بالأمس، وولع الحكومات المستهترة بطباعة الورق النقدي دون رصيد هو المسؤول عن محنة الناس الحالية والتضخم النقدي الذي ضاعف الأسعار وأرهق الفقراء وذهب بثروات الأغنياء، وملاحظته، أو بالأحرى: نظريته: صحيحة جداً، لأني أربطها بملاحظات مهمة مماثلة دونها بعد أربعمائة سنة منه مؤرخ مصر الجبرتي في تاريخه، وأوضح استهتار المماليك في آخر حكمهم بقضية النقود، وعدم مبالاتهم، وانخفاض قيمة أموال الناس بشكل فاحش، بحيث يقتنع المرء بأن العلة واحدة، **وهذا درس في حركة الحياة بالغ الأهمية، ويجدر بدعاة الإسلام أن يتعلموه وأن يفهموا أثر السياسة النقدية في تحريك الحياة، وأن يميلوا بالخطة الإصلاحية الدعوية، وبالخطة التنموية الإسلامية، نحو السعي للالتزام بمبدأ الذهب والفضة، لعلهم يوفقون لإنقاذ أموال الناس ودول البلاد الإسلامية، وبذلك يدخلون أبواب (القيادة السياسية الاقتصادية للأمة) من أوسع أبوابها، والطريق شاق وطويل، ولكن علينا أن نسلكه ونتحدى الصعوبات، وعلى الكتل البرلمانية الإسلامية في شتى الأقطار أن تضع هذه القضية النقدية في صُلب اهتماماتها ومطالبها ومساعيها، وواجب المجموعات الإعلامية الإسلامية ومراكز البحوث أن تساعدهم في ذلك وتزودهم بالرؤى العلمية والدراسات الواقعية الإحصائية، وأن تقترح عليهم خططاً**

تفصيلية تنفيذية تستفيد من معطيات المصارف الإسلامية المنتشرة في أرجاء العالم، مع الانتباه إلى أن الإفراط في اعتماد اقتصاديات الدول الطموحة لسرعة التنمية على القروض الخارجية من دون رصيد كاف يعتبر هو الوجه الآخر لقضية إهمال مبدأ الذهب، لأنه يجعلها مكشوفة تماماً ويسهل على أي منافس خارجي يهودي أو استعماري الأخلاق والمنطق أن يتسبب بضرر ويضرب الاقتصاديات المكشوفة هذه ضربات موجعة، وبخاصة في ظل حرية السوق، وتشابك العلاقات العالمية، وانحياز اتفاقية التجارة العالمية للدول القوية على حساب الدول النامية، وتداخل أعمال البورصات، ثم الأنف اليهودي الممدود من خلال التطبيع داخل ترتيبات الشرق الأوسط الاقتصادية المحروسة بوصاية سياسية ضامنة لأمن إسرائيل ومصالحها، وأزمة ماليزيا وإندونيسيا وبقية بلاد النمور الآسيوية سنة ١٩٩٧ هي موعظة بليغة لنا، حيث استطاع المستثمر اليهودي الأميركي سوروس أن يهز الاقتصاد الآسيوي بعنف، نتيجة انكشافه بالقروض، وما زالت آثار تلك النكسة جاثمة على رقاب دول آسيا بعد عشر سنوات من بداية حدوثها، والتحسن بطيء، ومصر معرضة لهزة مثيلة يراد منها إحداث شرخ في الأمن الاستراتيجي المصري ثم العربي بعامة، وهذا مصدر خطر كبير يمكن أن ندرؤه **بأن نأطر الناس أطراً وحكومات التفريط على إتباع خطة الإصلاح الإسلامي الدعوي الشامل، والتي تراعي بشكل أساسي توفير الحريات السياسية، واحترام حقوق الإنسان، وتمكين خطط التنمية الإسلامية من أن تمارس طموحاتها في أرض الواقع، وإبراز نماذج من البناء الإنتاجي الفاضح لأعمال الفساد الإداري الهادم المبدِّد للطاقات والأموال والطموحات،** وهذا أمر نعلم أنه لا يروق لمن انغمس في الفساد أو ارتبطت مصالحه بوجوده، ولكن المناداة به واجبة، ويتطلب شجاعة، وتضحيات، **وقد انتهى الفكر الإسلامي الدعوي من توفير خلفية نفسية تمهد لذلك، ونجح في إصلاح قلوب أرهاط من الناس يمكنها أن توفر (الجهود القيادية) لعملية الإصلاح الحيوي الشامل وتحريك الحياة نحو إحداث نقلات**

إيجابية وصناعة تيار تنموي يستدرك، والحاكم العاقل يدرك فضلنا وإخلاصنا ودقة تحليلاتنا وصواب خططنا، فيفسح لنا طريق إعانته والسير في درب مشترك لخدمة مصالح الأمة، ومن يتعمد الإعراض سوف لا يجد أمامه سوى لصوص الفساد الإداري، وبئس القرناء، وسيجد أن حركة الحياة أقوى منه.

" والمقريزي، بعدما وصف المجاعات والمحن التي حلّت بمصر: عاد فأدلى بإفادة مهمة، ومارس التحليل، وجهر بتشخيص صحيح يرتفع بمستوى أقواله إلى مستوى الفكر الدعوي الإصلاحي، ويصلح أن يكون خلفية تحليلية لخطة الإصلاح الدعوي المعاصرة، وهو يشير بصراحة إلى أن الغلاء الذي شاهده ما كان بسبب جائحة سماوية بمقدار ما هو **(سوء التدبير وفساد الرأي)** وتلاعب التجار ورجال الدولة، وقد رخصت الأسعار في عهده من بعد غلاء (واستمر الأمر حتى مات الظاهر برقوق في نصف شوال سنة إحدى وثمانمائة، ولم يكن حينئذ بالقاهرة قمح يبلغ ثلاثين درهماً الإردب، فبيع في اليوم الثاني لموته كل إردب من القمح بأربعين درهماً، وتزايد حتى بيع في سنة اثنتين وثمانمائة ببضع وسبعين، والسبب (احتكار الدولة الاقوات ومنع الناس من الوصول إليها إلاّ بما أحبوا من الأثمان.).

وهو يقف طويلاً عند هذا السبب، ويبين أن (أصل هذا الفساد: ولاية الخطط السلطانية والمناصب الدينية بالرشوة، الوزارة والقضاء ونيابة الأقاليم وولاية الحسبة وسائر الأعمال، بحيث لا يمكن التوصل إلى شيء منها إلاّ بالمال الجزيل، فتخطّى لأجل ذلك كل جاهل ومفسد وظالم وباغٍ إلى ما لم يكن يؤمله من الأعمال الجليلة والولايات العظيمة، لتوصّله بأحد حواشي السلطان، ووعده بمال للسلطان على ما يريده من الأعمال، فلم يكن بأسرعَ مِن تقلّده ذلك العمل وتسليمه إياه، وليس معه مما وعد به شيء قَلّ ولا جَلّ، ولا يجد سبيلاً إلى أداء ما وعد به إلاّ باستدانته بنحو النصف مما وعد به، مع ما يحتاج إليه من شارة وزي وخيول وخدم وغيره، فتتضاعف من أجل ذلك عليه الديون، ويلازمه أربابها. لا

جَرَمَ أنه يُغمض ولا يُبالي بما أخذ من أنواع المال، ولا عليه بما يتلفه في مقابلة ذلك من الأنفس، ولا بما يريقه من الدماء، ولا بما يسترقه من الحرائر، ويحتاج إلى أن يقرر على حواشيه وأعوانه ضرائب، ويتعجل منهم أموالاً، فيمدون هم أيضاً أيديهم إلى أموال الرعايا.)[٩].

(فلما دُهي أهل الريف بكثرة المغارم وتنوّع المظالم: اختلت أحوالهم، وتمزقوا كل ممزق، وجَلوا عن أوطانهم، فقلّت مجابي البلاد ومتحصلها، لقلة ما يزرع بها، ولخلو أهلها ورحيلهم عنها لشدة الوطأة من الولاة عليهم.)[١٠].

واليوم يعاد هذا المسلسل، فمن الناس من لا فقه له ولا رونق، وهو معدود في أموات القلوب، وتفضحه الضحالة، وقد اشتهر بالرأي الفطير، لكنه يستدين من البنوك بتواطؤ مع مجالس إدارتها، ويشتري المارسيدس ٥٠٠، ويدفع للإعلاميين لصنع دعاية له في الصحافة والتلفزيون، ويحيط نفسه بكثرة من الحراس يمارسون أساليب المافيا، ويشتري ضمائر الشرطة والمشرفين على الانتخابات، فيكون في البرلمان، ثم في الوزارة، ويبدي استعداده للتعاون مع نوادي اللاينز الماسونية، فيمنحونه حماية، ويدخل ضمن الخطة، ويكون من أبطال الفساد الإداري، ويبيع مصالح البلاد، ويغازل سفراء أميركا والتطبيع مع إسرائيل، فيزداد سلطة، ويغمد خنجره في صدر التنمية، فتثقل الوطأة على جيل الفقراء وملايين الشباب، وتعم البطالة، فتكون هجرة الطاقات والعقول، ويفرغ البلد، ويقل الناتج القومي، فتزحف الشركات العملاقة العابرة للقارات، فتستعبد بقية العمالة بأرخص الأثمان، وتجثم بركات العولمة.

قصة تتكرر من عهد المقريزي وقبله إلى هذا الزمن، والناس تستسلم وقد أنهكها الخوف، وخطة الإصلاح الدعوي والاستدراك الواعي هي وحدها فقط الحل، وفيها مكمن العلاج، وأول التنمية والتطور وصعود السُلّم الحضاري: فتح العين، والاستيقاظ من رقدة الغافلين، حشرنا الله وجميع المستضعفين تحت لواء سيد المرسلين.

" **قال المقريزي: (وتزايدت غباوة أهل الدولة، وأعرضوا عن مصالح العباد، وانهمكوا في اللذات، لتحق عليهم كلمة العذاب ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾ الإسراء/١٦** [١١].

" ثم انعطف المقريزي إلى شرح أثر تجاوز السياسة النقدية لقاعدة الغطاء الذهبي في حصول الغلاء والتضخم، وكيف (أن النقود التي تكون أثماناً للمبيعات وقيماً للأعمال إنما هي الذهب والفضة فقط، لا يُعلم في خبر صحيح ولا سقيم عن أمة من الأمم ولا طائفة من طوائف البشر أنهم اتخذوا أبداً في قديم الزمان ولا حديثه نقداً غيرهما.)[١٢].

" وقد استعرض المقريزي في كلام طويل أخبار نقود الجاهلية، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أقر في الإسلام ما كان عليه أهل مكة، وأتى بخبر ما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه والخلفاء من بعده، حتى كان عهد عبد الملك بن مروان الذي أجرى جملة إصلاحات في النظام النقدي.

" (وكان فيما عمل عبد الملك من الدراهم ثلاث فضائل: إحداها: أن كل سبعة مثاقيل زنة عشرة دراهم. وثانيها: أنه عدل بين كبارها وصغارها حتى اعتدلت، وصار الدرهم ستة دوانيق. وثالثها: أنه موافق لما سَنّه رسول الله صلى الله عليه وسلم في فريضة الزكاة بغير وكس ولا اشتطاط، فمضت بذلك السُنّة، واجتمعت عليه الأمة، وضُبط هذا الدرهم منها خمسون حَبّة وخُمسا حَبة من الشعير) (ويقال له: درهم الكيل، فإن الرطل الشرعي منه يتركب، ومن الرطل يتركب المُد، ومن المد يتركب الصاع. وإنما جُعلت العشرة من الدراهم الفضة بوزن سبعة مثاقيل من الذهب: لأن الذهب أوزن من الفضة وأثقل) و(زنة الحبّة: سبعين حبّة من حب الخردل.)[١٣].

" واستمر الأمر على ذلك طيلة أيام الدولة الأموية، ثم العباسية، وإلى أيام (المتوكل، إلى أن قتله الأتراك وشركوا بني العباس في الأمور، وتفننت الدولة في الترف، وتقلص نور الهداية، وتبدلت أوضاع الشريعة ورسوم الدين، وأحدثوا

وابتدعوا ما لم يأذن الله به، فكان من ذلك: غش الدراهم.)[١٤] (ثم فشت في الأمصار أيام دول العجم الدراهم الزيوف، واختلفت آراؤهم بالعراق فيها، ولم ينضبط حتى الآن أمرها.)[١٥].

" (وأما مصر من بين الأمصار فما برح نقدها المنسوب إلى قيم الأعمال وأثمان المبيعات: الذهب خاصة، كل سائر دولها جاهلية وإسلاما).

" ثم في وقت متأخر دخلت الفضة أيضاً، كما كانت دراهم العراق.

قال المقريزي: (حتى استولت دولةُ بني أيوب على مملكتي مصر والشام، وتملّك منهم محمد الكامل بن العادل، ففي ذي القعدة من سنة ثنتين وعشرين وستمائة أمر الكامل بضرب دراهم) (وكانت الدراهم الكاملية ـ وهي التي أدركنا الناس يتعاملون بها ـ ثلثيها فضة والثلث نحاس.)[١٦].

" قال: (وأما الفلوس: فإنه لما كان في المبيعات محقرات تقل عن أن تباع بدرهم أو جزء منه: احتاج الناس من أجل ذلك في القديم والحديث من الزمان إلى شيء سوى نقدي الذهب والفضة يكون بإزاء تلك المحقرات، لم يُسَمّ أبداً على وجه الدهر ساعة من نهار فيما عرف من أخبار الخليقة نقدا، لا ولا أُقيم قط بمنزلة أحد النقدين.) وإنما يجعلون بإزاء هذه المحقرات نحاساً يضربون اليسير منه قطعاً صغاراً تسميها العرب فلوساً، لشراء ذلك، و لا يكاد يوجد من هذه الفلوس إلا النزر اليسير، مع أنها لم تقم أبداً في هذه الأقاليم بمنزلة أحد النقدين قط.)[١٧].

□ **حتى إذا مرّ زمن: حصلت الطامة الكبرى التي هي النقود المطبوعة على الورق الكاغد، وسرت هذه البدعة من بلاد المغول إلينا، فصار المجال مفتوحاً لكل حاكم مستهتر أن يطبع ما يشاء من نقود بلا رصيد من الذهب، فصار التضخم الأكبر الذي هبط بقيمة ممتلكات الناس.**

" وقد نقل المقريزي عن حافظ المغرب محمد بن سعيد في كتابه الذي سماه (جنا النحل وحيا المحل) ما نصه: (فأخرج لي أحد هؤلاء التجار - يعني تجاراً رآهم ببغداد لما رحل إليها - ورقة فيها خطوط بقلم الخطا، وذكر أنها من ورق التوت

فيها لين ونعومة) و(أن ملكها يختم لهم هذه الأوراق، وينتفع بما يأخذ بدلاً عنها.)[١٨].

وأفاد محقق كتاب إغاثة الأمة بأن الخطا هي بلاد المغول، أي الجزء الغربي من بلاد الصين، وأن الرحالة ابن بطوطة شاهدها وتعامل بها وشرح أمرها في رحلته.

" (فلما كانت سلطنة العادل كتبُغا، وأكثرَ الوزير فخر الدين عمر بن عبد العزيز الخليلي من المظالم، وجارت حاشية السلطان ومماليكه على الناس، وطمعوا في أخذ الأموال والبراطيل والحمايات، وضربت الفلوس: توقف الناس فيها، لخفتها.).

(فلما كانت أيام الظاهر برقوق، وتولى محمود بن علي الأستذدار أمر الأموال السلطانية: شره إلى الفوائد وتحصيل الأموال، فكان مما أحدث: الزيادة الكبيرة من الفلوس، فبعث إلى بلاد فرنجة لجلب النحاس الأحمر، وضمن دار الضرب بالقاهرة بجملة من المال، ودام ضرب الفلوس بها مدة أيامه، واتخذ بالإسكندرية دار ضرب لعمل الفلوس، فكثرت الفلوس بأيدي الناس كثرة بالغة، وراجت رواجاً صارت من أجله هي النقد الغالب) (وعظم رواج الفلوس، وكثرت كثرة بالغة حتى صارت المبيعات وقيم الأعمال كلها تُنسب إلى الفلوس خاصة) (فدهى الناس بسبب ذلك داهية أذهبت المال، وأوجبت قلة الأقوات، وتعذر وجود المطلوبات لاختلاف النقود، وإنه ليُخشى من تمادي ذلك أن يحول حال أهل الإقليم، ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال﴾.)[١٩].

" ثم عقد المقريزي جملة من المقارنات تبدي أن أرقام ما يحوزه الناس من قطع النقود صارت مضاعفة، ولكن جدواها وقيمتها الشرائية وحقيقة منفعتها قلّت وانحطت، وذلك هو العدوان الأكبر على أموال الناس من خلال ترك قاعدة التعامل بالذهب والفضة، وهو الذي نسميه اليوم التضخم، وليس وراء ذلك

سوى شهوات الحكام المستبدين الذين يطبعون النقود بلا رصيد، وتلك هي قصة محرك استراتيجي عظيم من استراتيجيات الحركة الحيوية يجب أن تتصدى له دراسات الاقتصاد الإسلامي المعاصرة التي يقودها الدعاة، ثم يجب أن يكون هذا الموضوع محوراً رئيساً من محاور خطة الإصلاح الإسلامي الذي تتبناه الدعوة، وأن يقوم (الإعلام الإسلامي) بشرح هذه المعاني والحيثيات التفصيلية المتعلقة بها، لأن جمهور المسلمين في غفلة عن هذه القصة وهذا المسلسل التاريخي الرديء، ووعيهم ضعيف، وعلينا أن نمدهم بالوعي المالي والتنموي، لأن أخلاق الإيمان ومواعظنا القلبية تبقى ضئيلة المعنى والأثر إذا لم يسندها مال وتتحسن الأحوال المعاشية لأهل المساجد وروادها ولكل المستضعفين، ولما حصلت للدولار مكانة عالمية بدأ يستبد ويظلم الشعوب وتتوسع وزارة الخزانة الأميركية في طبع مزيد منه بلا رصيد، وأقوامنا لا تعلم ذلك، والمسلمون نيام، والتضخم الدولاري يلسعهم كما تلسعهم تضخمات العملات المحلية.

□ الجبرتي يعضد مذهب المقريزي

" ولكي يستوعب الداعية المسلم تمام القصة: فإنه يلزمه أن يفقه فصلها الأوسط، بعدما روى له المقريزي صدورها وأوائلها، وعانى عبر أثقال العولمة من أواخرها، وهذه القصة الوسطى نجدها عند مؤرخ مصر (الجبرتي) الذي وصف لنا هبوطاً شنيعاً في قيمة النقود حصل بعد أربعمائة سنة من أيام المقريزي، ويروي خبر تضخم نقدي ضخم جداً في آخر عهد المماليك وغزوة نابليون، والاستنتاج العقلي يدلنا على أن ما رواه المقريزي استمر خلال الأجيال، حتى روى الجبرتي حلقة منه، ثم استمر المسلسل إلى أيامنا هذه، وربط الآخر بالأول يمنحنا قناعة بصواب ما نقول من وجوب العودة إلى قاعدة الذهب في السياسة النقدية، ولكن الذي يخذلنا هم الناس أنفسهم الذين نسعى من أجل رفع مستواهم المعاشي، فإنهم سُذج، وتخدعهم الدعايات، وتتعمد الحكومات الفلوسية الورقية أن تربيهم بالتربية الرأسمالية الاستهلاكية ليخنعوا لها، ونحن الدعاة نحاول إيقاظهم فلا

يستيقظون، ونريد منهم أن يضغطوا معنا فلا يضغطون، وهم الضحايا، و لكنهم – و سبحان من سلبهم التمييز-: إلى الأرض يتثاقلون، و هم يعلمون أن شعوب دول الغرب إنما نالت حقوقها واغتنت عبر الحرية والتنمية والوعي السياسي والاقتصادي، ولكنهم لا يسلكون مثل دربها المنهجي.

" وقد شرح الجبرتي خلال روايته لأحداث سنة ١٢٢٠هـ وبداية حكم محمد علي باشا الكبير كيف كانوا (يأخذون الريالات الفرانسة إلى دار الضرب ويسبكونها ويزيدون عليها ثلاثة أرباعها نحاساً، ويضربونها قروشاً يتعاملون بها، ثم ينكشف حالها بعد مدة يسيرة وتصير نحاساً أحمر من أقبح المعاملات شكلاً ووضعاً، لا فرق بينها وبين الفلوس النحاس التي كانت تُصرف بالأرطال في الدولة المصرية السابقة في الكم والكيف.) وبعد أن ذكر قريباً من كلام المقريزي عما كان عليه وضع النقود زمن قلاوون وبعده في زمن الجراكسة: ذكر استمرار التردي، وكيف (اختل أمر الفلوس النحاس والمرتبات والوظائف بالأوقاف المشروط فيها صرف المعاليم بالفلوس، ولم يزل الحال يختل ويضعف بسبب الجور والطمع والغش وغباوة أولي الأمر وعمى بصائرهم عن المصالح العامة التي بها قوام النظام، حتى تلاشى أمر الدراهم جداً في الوزن والعيار، وصار الدرهم المعبّر عنه بالنصف أقل من العشر للدرهم، وفيه من الفضة الخالصة نحو الربع، فيكون في النصف الذي هو الآن بدل الدرهم الأصلي من الفضة الخالصة أقل من ربع العُشر) أي (أن الدرهم الفضة الآن صار بمنزلة الفلس النحاس القديم، وتأمل واحسب تجد الأمر كذلك. فإذا فرضنا أن إنساناً اكتسب ألف درهم من دراهمنا هذه: فكأنه اكتسب خمسة وعشرين لا غير، وهو ربع عشرها.) (إلى أن زاد الاختلال في أيام علي بك والمعلم رزق واستيلائه على دار الضرب والقروش، واستعمل ضرب القروش واستكثر منها وزاد في غشها، لكثرة المصاريف على العساكر والتجاريد والنفقات) (وفحش وجود القروش المفردة وضِعفها وأجزاؤها، حتى لم يبق بأيدي الناس من التعامل إلاّ هي، وعَزّ باقي

الأصناف المذكورة وطلبت للسبك والادخار وصياغة الحُلي، فترقت في الصارفة والإبدال.

فلما زالت دولة علي بك وتملك محمد بك أبو الذهب: نادى بإبطال تلك القروش بأنواعها رأساً، فخسر الناس خسارة عظيمة من أموالهم وباعوها بالأرطال) (واقترن بذلك تغافل الحكام وجورهم وعدم التفاتهم لمصالح الرعية وطمعهم وتركهم النظر في العواقب، إلى أن تجاوزت في وقتنا هذا الحدود.) (ولم يزل أمر المعاملة وزيادة صرفها وإتلاف نقودها واضطرابها مستمر) (لأن أصل الكدر منبعث عنهم ومنحدر عن مجراة خبائثهم وفسادهم.)[٢٠].

ويعني بالمعاملة: النقود، وهو الاصطلاح العامي السائد يومذاك.

وبعد ذلك بخمس عشرة سنة، عام ١٢٣٥، كان الوضع قد ازداد تفاقماً، وبلغ منحنى الهبوط مداه، حيث عاد الجبرتي إلى بيان (أمر المعاملة وما يقع فيها من التخليط والزيادة، حتى بلغ صرف الريال الفرانسة اثني عشر قرشاً) ولكن هذه (الفرانسا في بلادها تصرف بأربعة قروش) و(هذه القروش لم يكن لها وجود بالقطر المصري البتة، وأول من أحدثها بمصر علي بك القازدغلي بعد الثمانين ومائة وألف عندما استفحل أمره وأكثر من العساكر والنفقات وأظهر العصيان على الدولة، ولما استولى محمد بك المعروف بأبي الذهب: أبطلها رأساً من الإقليم، وخسر الناس بسبب إبطالها حصة من أموالهم، مع فرحهم بإبطالها، ولم يتأثروا بتلك الخسارة، لكثرة الخير والمكاسب، ولم يبق من أصناف المعاملة إلاّ أنواع الذهب الإسلامي والإفرنجي، والفرانسة ونصفه وربعه، والفضة الصغيرة التي يقال لها نصف فضة، مع رخاء الأسعار وكثرة المكاسب، ويُصرف هذا النصف بعدد من الأفلس النحاس التي يقال لها الجدد، إما عشرة أو اثنا عشر إذا كانت مضروبة ومختومة، أو عشرين إذا كانت صغيرة وبخلاف ذلك، ويقال لها: السحاتة) ومع مرور الهبوط (صار النصف الفضة بمنزلة الجديد النحاس.).

أي كان هبوط ثروات الناس أول مرة إلى الثلث، ثم إلى واحد من عشرة من هـذا الثلـث أو أكثـر) مـع (غلـو الأسـعار في كـل شـيء، بـسبب الحـوادث والاحتكارات السابقة والمتجـددة كـل وقـت في جميـع الأصـناف، ولا يخفـى أن أسباب الخراب التي نصّ عليها المتقدمون اجتمعت وتـضاعفت في هـذه الـسنين، وهي زيادة الخراج واختلال المعاملة أيضاً والمكـوس، وزاد علـى ذلـك: احتكـار جميع الأصناف والاستيلاء على أرزاق الناس، فلا تجـد مرزوقـاً إلا مـن كـان في خدمة الدولة.)[٢١].

" ولذلك كان المقريزي حين حلّل أسباب الغلاء والتضخم قد مـال إلى التـشدد والرجوع إلى قاعدة الذهب والفضة.

" قال: (فمن نظر إلى أثمان المبيعات باعتبار الفضة والذهب: لا يجدها قد غلت إلاّ شيئاً يسيراً، وأما باعتبار ما دهى الناس من كثرة الفلوس فأمر لا أشـنعَ مـن ذكره، ولا أفظعَ من هَولِه، فسدت به الأمور، واختلّـت بـه الأحـوال، وآل أمـر النـاس بـسببه إلى العَـدَم الـزوال، وأشـرف مـن أجلـه الإقلـيم علـى الـدمار والاضمحلال، (كذلك الله يفعل ما يشاء)[٢٢].

لذلك تساءل: (كيف العمل في إزالة ما بالناس من هذه البليات؟).

وأجاب: (أن النقود المعتبرة شرعاً وعقلاً وعادة إنما هي الذهب والفضة فقط، وما عداهما لا يصلح أن يكونِ نقداً. وكذلك لا يستقيم أمر النـاس إلا بحملـهم على الأمر الطبيعي الشرعي في ذلك، وهو تعاملهم في أثمان مبيعاتهم وإعواض قيم أعمالهم بالفضة والذهب لا غير.).

قال: (فيما ذكرنا فائدتين جليلتين: إحداهما: رجوع أحوال العامـة إلى مثـل مـا كانت عليه من قبل هذه المحن في أمور الأسعار وأحوال المبيعات. والفائدة الثانية: بقاء ما بأيدي الناسْ من الذهب والفلوس - اللذين هما النقـد الـرائج الآن - على ما هما عليه من غير زيادة ولا نقص، مع رد الأحوال والرفه والرُخص إلى ما كانت عليه قبل هذه المحن. ولعمري لا يجهل قدر هاتين الفائـدتين الجليلـتين،

ويجحد حق هاتين النعمتين العظيمتين، من له أقل حظ من تمييز، وأنزر نزر من شعور، إلاّ مَن قَصَد أن يخون عهد الله وأمانته فيما استرعاه من أمور عباده، بإظهار الفساد وإهلاك العباد، والله لا يهدي كيد الخائنين.) و(قد تبين بما تقدم أن الحال في فساد الأمور إنما هو سوء التدبير، لا غلاء الأسعار، فلو وفق الله مَن اسند إليه أمر عباده حتى ردّ المعاملات إلى ما كانت عليه قبل من المعاملة بالذهب خاصة، ورد قيم السلع وعوض الأعمال كلها إلى الدينار، أو ما حدث بعد ذلك بالمعاملة بالفضة المضروبة، ورد قِيم الأعمال وأثمان المبيعات إلى الدرهم: لكان في ذلك غياث الأمة وصلاح الأمور، وتدارك هذا الفساد المؤذن بالدمار)(٢٣).

□ □ (فإذاً: ليس بالناس غلاء، إنما نزل بهم سوء التدبير من الحكام.)(٢٤).

وذلك هو القول الفصل، ورحم الله المقريزي، ما أفقهه، وما أليقه لو كان حياً معنا أن يكون عميد المجموعات البرلمانية الإسلامية في العالم، يلقنها كيف تنطق وتصدع بالحق وتفضح سياسة ارتباط عملتنا بالدولار الاستعماري الماجن!!

" وجميع هذا المنطق الاقتصادي الرفيق الذي أدلى به المقريزي ثم الجبرتي: مؤيد بمذاهب معروفة في الاقتصاد العالمي المعاصر، وتلتقي معه نظرية أشهر الاقتصاديين (كينز)، ولكن بيان ذلك هو واجب بحوث أخرى، وإنما أردنا أن نبين أصالة قاعدة التعامل بالذهب، **والواجب الأول لبحوث (إحياء فقه الدعوة) هو هذا (التأصيل) واكتشاف جذور الوعي الجديد عند القدماء، مع فائدة ضمنية كشفها الاستطراد، تنطق بأن أدلة الاقتصاد الإسلامي ومراجعه ليست هي النصوص فقط، بل تظاهرها وتقف معها التجربة التطبيقية العملية المتراكمة لأجيال علماء المسلمين، ومراقبتهم لحركة الحياة، واستنتاجهم ورصدهم لقوانين وقواعد حركتها، كمثل هذا الرصد البارع الذي تولاه المقريزي** في كتاب (إغاثة الأمة) وأيده بفصلين مثيلين في كتابه الشهير (المواعظ والاعتبار) وكمثل انتباه الجبرتي، وسرعة خاطر الليث القيسي في اكتشاف العلاقة بين كلام المقريزي وخطة الإصلاح الدعوي المعاصرة، مما حمله على إهداء الكتاب لي.

□ مذهب الذهب عربي أعجمي.. قديم حديث

□ وكما في بلاد العرب: كانت بلاد العجم ومركز الدولة أيضاً عُرضة لاضطراب النقد وهبوط القيمة، وفي نفس الزمن الذي عاشه الجبرتي أو قبله بقليل، ففي كتاب قيّم عظيم الفوائد جيد المنهجية معتمد على الوثائق والدراسات العلمية يحدثنا الباحث التركي الأستاذ خليل ساحلي أوغلي في كتابه الثمين (من تارخ الأقطار العربية في العهد العثماني) أن الدولة العثمانية استمرت خلال قرونها الأولى تحترم قاعدة النقد الذهبي والفضي، ولم تحصل التجاوزات إلاّ في القرن السابع عشر في زمن السلطان سليمان الثاني، فقد ضرب عملة (المنقور) النحاسية، فجفل الناس من ذلك، ولم يدم التعامل به غير سنوات ثلاث فقط، ولم تتكرر التجربة إلا في أواخر عهد الدولة[٢٥]:

" لكن تشير دراسات الدكتور عباس الصباغ في كتابه الجيّد الرائع (تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية) إلى نكبة حلّت بالدولة العثمانية بعد اكتشاف أميركا بخمسين سنة، حيث تدفقت على أوروبا وحوض البحر المتوسط ما بين عامي ١٥٥٠ – ١٥٦٠ فقط ثلاثة أمثال الكمية الموجودة سابقاً من الذهب والفضة من أميركا وبسعر رخيص، فانهارت عملة الأقجة الفضية العثمانية، وزاد التضخم، فارتبكت السياسة النقدية للدولة العثمانية لمدى طويل[٢٦].

" ومتابعة الرصد تكشف لنا عن عمق الوعي في الفكر الإسلامي لهذه القضية الحيوية الاستراتيجية المهمة: قضية النقد، وأن بعض علماء الشريعة الذين خرجوا عن نطاق الضيق النظري إلى رؤية المساحة الواسعة العملية التطبيقية لأحكام الإسلام في عالم الواقع والحياة المتحركة فكانوا دعاة وعاة: قد تطرقوا بوضوح إلى طبيعة حركة الذهب والفضة في العملية الاقتصادية وتأسيس معنى النقد والمال، وكان من هؤلاء: الراغب الأصبهاني الحسين بن محمد المتوفى عام ٥٠٢هـ في كتابه الثمين (الذريعة إلى مكارم الشريعة)[٢٧]، وهو لم يتطرق إلى قضية التضخم، ولكن كان تركيزه على تثبيت معنى النقد الذهبي.

" وهذه النقول هي جذور وأصول في الاقتصاد السياسي الإسلامي، ولها أهمية هي أبعد بكثير من مجرد أهميتها الأحكامية الشرعية، لأنها تمثل موقفاً دعوياً أيضاً في الدفاع عن الفقراء والمستضعفين، وعن المغفلين الذين يفقدون القيمة الحقيقية لأموالهم في خط تنازلي هابط بشكل حاد، ثم لا يميزون ما هنالك من ظلم وراء ذلك يسببه زعماؤهم في السياسة أنفسهم، ويقفون موقف الخاذل للدعاة الذين يريدون انتشالهم من الوهدة العميقة التي هم فيها، وهذا من أغرب أحوال الحياة، وبه يتبين سبب التخلف، وأن مبتدأ التنمية يكون في وجود فكر ووعي، ومَن افتقدهما لا يتاح له أن يتطور ويتمدن، وذلك هو الذي يدفعنا للإطناب في شرح محركات الحياة، قاصدين توعية الدعاة، ليكونوا بعد حصول الوعي لهم قادةً يوجهون الناس إلى نيل مصالحهم والمجادلة فيها وتطبيق خطط الإصلاح والاستدراك عبر عمل شمولي يتخذ السياسة وسيلة.

◻ النحاس واللاغر يؤديان إلى السياسة الخنوعية

◻ ومكمن الخطر إذا استمر الذهول عن الإصلاح الاقتصادي: أن الحكومات التي تتورط في تضخم نقدي وفشل تنموي تفقد مصداقيتها ومبرر وجودها، وتتأسس لها معارضة، فتنحصر في الزاوية الحرجة، فتبدأ في التماس مخرج، ومحيص، ولات حين مناصٍ سهلٍ عفيف يرضي الجمهور، فتنحرف فلسفتها السياسية نحو الاستعانة بالدول الاستعمارية واللواذ بها لتوفير الحماية لها، وبخطة العولمة وأميركا التي ورثت هذه المكانة التعسفية، وكان السلاطين الضعفاء منذ قرنين وأكثر هم الذين ابتدعوا هذه البدعة في التعاون مع الكافر وفتح مجال تدخله في الشأن السياسي المحلي، كالذي كان من الدولة العثمانية في أيام ضعفها من الاستعانة بدول الكفر الاستعمارية لدرء خطر دول استعمارية أخرى، فيكون تبديل مستعمر بمستعمر آخر، مما فتح المجال لرجال الدولة والأمراء في مناطق أخرى أن يحذوا حذوها ويطلبوا معونة الدول الكبرى، ولدعاة الإسلام بالأمس، في ذلك الوقت: إنكار وتحذير، يُعتبر جذر الوعي السياسي الإسلامي المعاصر

ومرجعه التأصيلي، مثل كلام الجبرتي في تاريخه في الإنكار على الألفي باشا، فإنّ الجبرتي تصرّف كداعية يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأجاد الرأي والبيان، ولكن الأهواء تصد عن اتباع الحق، وقصص اليوم في الذهاب إلى البيت الأبيض واستدعاء جيوشه لغزو بلادنا هي نفسها قصة الألفي بإخراج آخر، ورفع الله مكانة الدعاة وصان شرفهم بالبراءة من ذلك، وبالعفاف.

"" ففي رواية الجبرتي: أن **الأمير المملوكي محمد بك الألفي** المرادي المتوفى آخر سنة ١٢٢١هـ كان قد (جلبه بعض التجار إلى مصر في سنة تسع وثمانين ومائة وألف فاشتراه أحمد جاويش) ثم (باعه لسليم آغا) (ثم أهداه إلى مراد بك، فأعطاه في نظيره ألف إردب من الغلال، فلذلك سُمي بالألفي) (ثم اعتقه، وجعله كاشفا.).

(وكان صعب المراس، قوي الشكيمة) (واشتهر بالفجور، فخافته الناس وتحاموا شدته) (واشترى المماليك الكثيرة وأمّر منهم أمراء وكشافاً، فنشأوا على طبيعة أستاذهم في التعدي والعسف والفجور ويخافون من تجبره عليهم، والتزم بإقطاع فرشوط وغيرها من البلاد القبلية ومن البلاد البحرية) (وأخاف جميع عربان تلك الجهة وجميع قبائل الناحية) ثم سكن الصعيد أربع سنوات حدث خلالها الطاعون، ومات كثير من الناس، فكأنّ الأقدار وعظته (ففي تلك المدة ترزن عقله وانهضمت نفسه وتعلّق قلبه بمطالعة الكتب والنظر في جزئيات العلوم والفلكيات والهندسيات) (واقتنى كتباً في أنواع العلوم والتواريخ، واعتكف بداره القديمة ورغب في الانفراد وترك الحالة التي كان عليها قبل ذلك) لذلك (تجاسروا عليه وطمعوا فيما لديه، وتطلع أدونهم للترفع عليه، فلم يسهل به ذلك، واستعمل الأمر الأوسط) وصار يبني القصور ويشتري المماليك والجواري، (حتى اجتمع عنده نحو الألف مملوك) (وكل مدة قليلة يزوج من يختاره من مماليكه لمن تصلح له من الجواري، ويجهزهم بالجهاز الفاخر ويسكنهم الدور الواسعة) فكأنه يريد تكوين قبيلة خاصة به تواليه ويديم بنسلهم سيطرته. وبنى قصراً منيفاً جمع

له أنواع الأخشاب والأحجار والرخام، (وأهدى إليه أيضاً الإفرنج فسقية رخام في غاية العِظَم، فيها صورة أسماك مصورة يخرج من أفواهها الماء، جعلها بالبستان) (وازدحمت خيول الأمراء ببابه).

ثم (وصلت الفرنساوية إلى الإسكندرية، ثم إلى مصر، وجرى ما جرى) ولما (تحاربوا مع المصريين: أبلى المترجَم وجنده في تلك الواقعة، ويعمل معهم مكايد، ويصطاد منهم بالمصايد) ولما (حصل انتقاض الصلح وانحصر المصريون والعثمانيون بداخل المدينة: وقع له مع الفرنساوية الوقائع الهائلة، فكان يكر ويفر).

(ولما اصطلح مراد بك مع الفرنساوية لم يوافقه على ذلك واعتزله، ولما اشتد الأمر بين الفريقين وشاطت طبخة العثمانيين ومن تبعهم: طفق يسعى بين الفريقين في الصلح ويمشي مع رُسل الفرنساوية.) (إلى أن نظَم العثمانية أمرهم وتأونوا بالإنكليز.) أي طلبوا مساعدتهم الوقتية، (واستقر الجميع بداخل مصر، والإنكليز ببر الجيزة، وارتحلت الفرنساوية)، وكان في هذه الأثناء يخاف من انتعاش العثمانيين حتى قال: (إن جميع ما تقدم من حوادث الفرنسيس وغيرها أهون من الورطة التي نحن فيها الآن) أي ورطة عودة القوة إلى العثمانيين وسيطرتهم على مصر من خلال التعاون مع الإنكليز، وبدأ ينصح بعض الأمراء وأهل النفوذ أن يحذروا من التعامل مع العثمانيين.

" وهنا يخونه وعيه، فيرى التعاون مع الإنكليز وطلب كفالتهم من أجل التخلص من ظلم العثمانيين، وهو لا يدري أن أخلاق المستعمرين واحدة، وأن الفرنسيين الذين قاتلهم والإنكليز سواء بسواء، وأن العثمانيين استبدلوا استعماراً باستعمار، ثم يستبدل هو ظلماً باستعمار.

وقد تردد الأمراء بقبول نصيحته، لكنه عاد فقال لهم: (الرأي عندي أن قبلتموه أن نعدي بأجمعنا إلى بر الجيزة، وننصب خيامنا هناك، ونجعل الإنكليز واسطة) (ونتمم الشروط التي نرتاح نحن وهم عليها بكفالة الإنكليز، ولا نرجع

إلى البر الشرقي ولا ندخل مصر حتى يخرجوا منها ويرجعوا إلى بلادهم.) أي يرجع العثمانيون إلى بلادهم.

قال الجبرتي مستمراً: (وكان ذلك هو الرأي، ووافق عليه البعض ولم يوافق البعض الآخر، وقال: كيف ننابذهم ولم يظهر لنا منهم خيانة، ونذهب إلى الإنكليز وهم أعداء الدين، فيحكم العلماء بردّتنا وخيانتنا لدولة الإسلام؟ على أنهم إن قصدوا بنا شيئاً قمنا بأجمعنا عليهم، وفينا ولله الحمد الكفاية، وعند ذلك تتوسط بيننا وبينهم الإنكليز، فتكون لنا المندوحة والعذر.

فقال المترجَم: أما الاستنكاف من الالتجاء للإنكليز: فإن القوم لم يستنكفوا من ذلك، واستعانوا بهم، ولولا مساعدتهم لما أدركوا هذا المحصول ولا قدروا على إخراج الفرنساوية من البلاد، وقد شاهدنا ما حصل في العام الماضي لما حضروا بدون الإنكليز. على أن هذا قياس مع الفارق، فإن تلك مساعدة حرب، وأما هذه فهي وساطة مصلحة لا غير.).

" وهذا الاسترسال في بيان تفاصيل الحوار ضروري لكي نفهم كيفية تطور منطق التأويل عند الواهمين الذين يرون في جهات استعمارية أهلية للتحالف معهم والثقة بهم، ثم كيف يتطور المنطق الصلحي الذي فيه رجحان الجهة الاستعمارية ويكون هو المقبول، كمثل قبول الخطط الأميركية اليوم للصلح مع اليهود باسم وعنوان (المصلحة)، وقصة التعاون مع البيت الأبيض لإزالة ظلم صدام مثال صريح لمنطق المصلحة الموهومة هذه، ونتيجة خراب العراق وتقسيمه شاهد على جنس المصلحة التي يقدمها المستعمر للمتأول.

" واستمرت قصة الألفي، بما لا نستطيع نقله مع التزامنا الإيجاز، ولكن يهمنا أن نعلم أنه حارب العثمانيين وهزمهم، **ثم (سافر المترجَم مع الإنكليز إلى بلادهم، واختار من مماليكه خمسة عشر شخصاً أخذهم صحبته).**

" ولما رجع سارت الأمور على غير ما يهوى، واختلطت، وأفرزت الأحداث سيطرة محمد علي باشا الكبير، **وهنا يبلغ التأول مبلغه الأبعد (وراسل الإنكليز**

يلتمس منهم المساعدة وأن يرسلوا له طائفة من جنودهم ليقوى بهم على محاربة الخصم، كما التمس منهم في العام الماضي، فاعتذروا له بأنهم في صلح مع العثماني.) ثم حصل (وقوع الغرة بينهم وبين العثماني، فأرسلوا إلى المترجَم يعدون بإنفاذ ستة آلاف لمساعدته، فأقام بالبحيرة ينتظر حضورهم نحو ثلاثة شهور) (وقد طال انتظاره للإنكليز، فتشكّى العُربان المجتمعون) ثم سار للمعركة مع محمد علي، لكن ارتفع ضغط دمه، ومات على ذلك. (وبعد موت المترجم بنحو الأربعين يوماً: وصلت نجدة الإنكليز إلى ثغر إسكندرية، وطلعوا إليه، فبلغهم عند ذلك موت المذكور.)، واستطاع المجاهدون ومحمد علي صرفهم لوقت[٢٨].

□ فهذا تسلسل واضح لتطور التأويل السياسي المصلحي إلى قرارات وخطط ومواقف تخالف الشرع وأحكام الولاء والبراء، بل صار الألفي (رجل الإنكليز) بمصر من خلال ارتحاله معهم إلى بلادهم أكثر من سنة، فغسلوا بقية دماغه، وأهدوه الهدايا والآلات الحربية والفلكية والهندسية، في خبر طويل أورده الجبرتي، وكذلك حال المتأولين اليوم، يصيرون رجال أميركا والعولمة والتطبيع، وأول القصص تأولّ فقط لا غير، واجتهاد خاطئ، ورخصة تفتي بها عمامة سوء!!.

" وقد روى الجبرتي في فصل لاحق كيف أن هذه القوة الإنكليزية التي جاءت لنجدة الألفي ووصلت متأخرة بعد موته أبت إلاّ دخول الإسكندرية بالقوة، كأي حملة استعمارية، وضربوها بالمدافع، فاضطر أهلها لطلب الصلح، وسقطت الإسكندرية، وما كان سقوطها غير خطوة أولى في طريق استعمار مصر.

" ومما يدل على خطأ الألفي وأمثاله من الذين يحسنون الظن بالقوى الاستعمارية: أن أمراء آخرين كانت الصورة عندهم واضحة، ورفضوا التعاون مع الإنكليز حين كاتبوهم بعد موت الألفي، ومنهم كمثال واضح: عثمان بك حسن، (وهو يدعي الورع، وعنده جيش كبير، فأرسلوا إليه يستدعونه، فقال: أنا

مسلم هاجرتُ وجاهدتُ وقاتلتُ الفرنساوية، والآن أختم عملي والتجئ إلى الإفرنج وانتصر بهم على المسلمين؟ أنا لا أفعل ذلك.).

" وهذا مثال للوعي النظري الفكري والثبات على المبدأ وأحكام الشرع. بل هو موقف عملي أيضاً لأنه صاحب جيش فلم يتورط.

" ثم تطور الأمر إلى وعي عملي جهادي، فإن أهل رشيد أوقعوا بالإنكليز الزاحفين وقعة عظيمة، وقد وصف الجبرتي كيف أن (طائفة من الإنكليز وصلت إلى رشيد) (وكان أهل البلدة ومَن معهم من العساكر متنبهين ومستعدين بالأزقة والعُطف وطيقان البيوت، فلما حصلوا بداخل البلدة ضربوا عليهم من كل ناحية، فألقوا ما بأيديهم من الأسلحة، وطلبوا الأمان، فلم يلتفتوا لذلك، وقبضوا عليهم، وذبحوا منهم جملة كثيرة، وأسروا الباقين، وفرّ طائفة).

□ □بل وأفرز الوضع قيادات شجاعة، فقد (نبّه السيد عمر النقيب على الناس وأمرهم بحمل السلاح والتأهب للجهاد في الإنكليز، حتى مجاوري الأزهر، وأمرهم بترك حضور الدروس، وكذلك أمر المشايخ المدرسين بترك إلقاء الدروس).

" وبمثل هذه الوقفات والفكر الواعي: بقي العِرق نابضاً ومعنى الجهاد مستمراً في الأمة، وسقطت تأولات ورُخَص الألفي ومدرسة المصالح الموهومة، وما هذه غير قصص هي جذور وأصول فقه الدعوة الذي نحاول إحياءه، ويخسأ الانهزاميون.

" والفعل في كل تلك الوقائع إنما هو فعل الجمهور وعامة المسلمين والعلماء والقيادات الشعبية التي أتاح لها القَدَر مجال إثبات الجدارة، وأما الأمراء والحكام فقد خانتهم عزائمهم، وكانت المعركة في نهايتها قد أدت إلى استيلاء الإنكليز على مصر لاحقاً، ولكن بذل الناس لما بذلوا كان ضرورياً، لئلا ينقطع سند الجهاد وفقهه، ولئلا تتغير ثوابت العقيدة والشرع، وهذا هو الفقه الذي

نستخلصه من مجمل تاريخ الجهاد ومقاومة الاستعمار، وليس خسران معركة بمسوغ لقبول منطق الانهزاميين.

ومع أن الإنكليز أهل خبرة سياسية وقتالية: فإنهم لم يحسنوا استعمال خبرتهم، حتى قال الجبرتي ملاحظاً هذه الملاحظة: (أما فساد رأي الإنكليز فلتعديهم الإسكندرية مع قلتهم وسماعهم بموت الألفي، وتغريرهم بأنفسهم) وذلك يعني أن التخطيط الذي يملكونه خانهم، وغلبتهم طبيعة النفس الإنسانية، وهذا هو ما نقوله دوماً، وأن المعارك هي معارك نفوس، ونفس الخطأ وقعت فيه أميركا اليوم في العراق، والتاريخ يعيد نفسه.

وأما الحكام: فكذلك، (حتى أن محمد علي باشا لما بلغه حصولهم بالإسكندرية) (:انحلت عزائمه وأرسل يصالحهم على ما يريدونه ويطلبونه، وثبت في يقينه استيلاء الإنكليز على الديار المصرية) كما يقول الجبرتي (فلما وصلت الشرذمة الأولى من الإنكليز إلى رشيد ودخلوها من غير مانع وحبسوا أنفسهم فيها فقُتلوا وأسروا وهرب من هرب، ووصلت الرؤوس والأسرى، وأسرعت المبشرون إلى الباشا بالخبر، :فعند ذلك تراجعت إليه نفسه، وأسرع في الحضور، وتراجعت نفوس العساكر، وطمعوا عند ذلك في الإنكليز وتجاسروا عليهم، وكذلك أهل البلاد قويت هممهم وتأهبوا للبروز والمحاربة واشتروا الأسلحة ونادوا على بعضهم بالجهاد وكثر المتطوعون).

(فلما وصلوا إلى متاريس الإنكليز: دهموهم من كل ناحية، على غير قوانين حروبهم وترتيبهم، وصدقوا في الحملة عليهم، وألقوا أنفسهم في النيران، ولم يبالوا برميهم، وهجموا عليهم واختلطوا بهم، وأدهشوهم بالتكبير والصياح حتى أبطلوا رميهم ونيرانهم، فألقوا سلاحهم وطلبوا الأمان، فلم يلتفتوا لذلك، وقبضوا عليهم وذبحوا الكثير منهم وحضروا بالأسرى والرؤوس على الصور المذكورة، وفر الباقون إلى مَن بقي بالإسكندرية، وليت العامة شُكروا على ذلك

أو نُسِب إليهم فعل، بل نُسب كل ذلك للباشا وعساكره، وجوزيت العامة بضد الجزاء بعد ذلك.)[٢٩].

☐ فلتة تضخمية طائشة.. أركعت القرن العشرين

☐ ومما لا شك فيه أن هذا الاختلاط في المفهوم السياسي، واستحلال ما حرم الله من الولاء لكافر: من شأنه أن تتفرع عنه حروب وفتن ودماء، ويصير الأقوى هو المتحكم بالأضعف، ويموّل نفقات حربه من خزينة الحكومة التي دعته لنصرتها، فتزداد الأزمة الاقتصادية ثقلاً، ويرسف الشعب في أغلالها، ثم تتفرع عن هذا الوضع الرديء مرة أخرى أنواع سوء وبلايا وتضخمات جديدة، ويستمر مسلسل التخلف والحَيرة، وتلك نتيجة خطط لها المستعمر منذ البداية، لإدامة تفوقه، وتكرار الحاجة إليه، وضمان أمن إسرائيل من خلال إركاسِنا في سياسة ثولاء.

" والرصد البسيط للتاريخ الحديث يكشف لنا مدى التأثيرات السلبية العنيفة للمشاكل الاقتصادية على السياسة، والتي تصل إلى درجة خوض حروب عارمة، وأظهر أحداث التاريخ في هذا السياق: الأزمة الاقتصادية العالمية التي بدأت في أواخر العشرينات من القرن العشرين، واشتدت عام ١٩٣١، ثم استمر تأثيرها خلال عقد الثلاثينات كله، ونشأت عنها بطالة عالمية واسعة، وتضخمات نقدية، لاضطرار الدول إلى خرق قاعدة الغطاء الذهبي للعملة، وكانت أرضاً خصبة لنشوء الحكومات المتطرفة والزعامات المغامرة، وذلك أدّى إلى نشوب الحرب العالمية الثانية، التي كان فيها استيعاب العاطلين في الجيوش كجنود، أو في الصناعات الحربية، فكأنها قَدَر خيري رغم قسوتها يوافق ظاهر الآيات القرآنية في حكمة دفع الله الناس بعضهم ببعض، وهكذا تحركت الحياة كلها في القرن العشرين حركة عظيمة استثنائية في حجمها، من خلال تلك الحرب التي أفرزتها الأزمة الاقتصادية، بل المسارات السياسية الكبرى حتى نهاية القرن العشرين كلها

إنما هي من آثار الحرب العالمية الثانية واستثمار أميركا لتفوقها الاستراتيجي الذي تدعمه القوة العلمية والمالية والتكنولوجيا النووية.

□ قانون حركة الحياة: أن الله يَدفعُ الكفرَ.. بالدعاة..!!

□ فكفرٌ واستعمار هذا شأنهما من الكيد لأمة الإسلام: يجب أن نقاومهما ما استطعنا، بالجهاد، وأن نحاول منع فرصتهما في الإفساد من خلال الإصلاح الاقتصادي الذي تستلزمه خطة الإصلاح السياسي، وذلك هو فقه (تأسيس الدعوة الإسلامية) في كل قطر، وعلى امتداد العالم، وهو السر في وعظها للحكام، وتوعيتها للمحكومين، وهذا الحق الدعوي إنما هو تفويض تتضمنه الآية الكريمة: ﴿ولولا دفع الله الناسَ بعضَهم ببعض لفسدت الأرض، ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ البقرة/ ٢٥١.

قال ابن عطية: (اخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لولا دفعه بالمؤمنين به في صدور الكفرة على مرّ الدهر لفسدت الأرض، لأن الكفر كان يُطْبقها ويتمادى في جميع أقطارها، والله تعالى لا يُخلي الزمانَ من قائم بحق، وداعٍ إلى الله، ومقاتل عليه، إلى أن جعل ذلك في أُمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، له الحمد كثيراً)(٣٠).

" فهم الدعاة إلى الله الذين يقومون بالحق جيلاً بعد جيل، وبهم ومنهم تتكون الكتلة الدفاعية الدائمة عن الإسلام، وذلك هو فقه قيام الكيان الدعوي ولزوم وجوده في كل قطر من العالم الإسلامي، ووجودهم قَدَرٌ رباني تتكفل به حكمة الله، من أجل توالي عمليات الدفع وممارسة الجهاد، وهذا المنطلق الجهادي هو أصل الوجود الدعوي وغايته ووسيلته، وأولئك الذين يريدون تجريد الأداء الدعوي من مشاركاته الجهادية، بل قيادته للعمليات الجهادية: هم أهل وَهْم شديد وانحراف عن صريح التقرير القرآني، والسِّلم حُلم يتمناه كل إنسان، ولكن سبق قلم القَدَر بتعكيره بحرب بعد حرب، وأودعت النزعة العدوانية في الفطرة البشرية، واستمراء الظلم، وغمط الحق، والقسر والإسراع إلى القوة، فكان الردّ

الجهادي الإيماني محتوماً، وكتب الله أن يكون محركاً أبدياً من محركات الحياة تفصح عنه هذه الآية التي أكدت قصة طالوت التي سبقتها مغزاه الواضح كمحرك دائم منحته آيات أخرى اسم (الجهاد في سبيل الله)، وكل وسوسة بعد ذلك باطلة، بل هي المقدمة إلى (الفساد في الأرض) بصريح النص.

□ والمواثيق إنما تؤخذ من القادة والحكام..!

" وحين تتوجه الدعوة الإسلامية بالموعظة السياسية إلى الزعماء وحكام الشعوب الإسلامية تطلب منهم الإصلاح والتنمية والجهاد: فإنها لا تنطلق من منطلق الإحراج، ولا الشغب، ولا المناوشة الرخيصة التي تكون أحياناً بين المعارضة والحكومات، والمشاحنات الهازلة، ولكنها تقوم بواجبها في البشارة والنذارة الإيمانية، وتمارس ذلك كعبادة، لأن التكليف ينصب على الرؤساء لا على المستضعفين، والمتسلط هو الذي نأخذ منه المواثيق، لمكانته وصدارته وتمكّنه، لا من العوام.

قال ابن عطية تعقيباً على قوله تعالى ﴿وإذ أخذ اللهُ ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به، ولتنصرنه﴾: (وقرأ الحسن: لَمّا آتيناكم) ثم قال: (ويظهر أن لَمّا هذه هي الظرفية، أي: لما كنتم بهذه الحال رؤساءَ الناس وأماثلهم: أخذ عليكم الميثاق، إذ على القادة يؤخذ.)[٣١].

□ دعاةٌ محامون.. يترافعون عن الفقراء..!

□ وفي رواية الجبرتي عن حوادث سنة ١٢١٩هـ بمصر أن عمر النقيب قال للباشا: (إن هؤلاء الناس، وأرباب الحِرَف والصنائع: كلهم فقراء، وما كفاهم ما هم فيه من القحط والكساد ووقف الحال: حتى تطلبوا منهم مغارم؟)[٣٢].

وهي حكاية الحكومات المسرفة وأئمة الفساد الإداري في كل حين، في كل جيل، في كل بلد: يُنهكون الفقراء ولا يبالون.

"" لكن هي أيضاً حكاية الخطة الدعوية، أن يكون من علاماتها البارزة: التوكل عن الناس، والدفاع عن حقوقهم، ورعاية الفقراء. فعلماء الجماعة، وقادة الدعوة، والبرلمانيون الإسلاميون، والإعلاميون الإيمانيون: يجب أن يقولوا ما قال عمر النقيب.☼

---

(١) تفسير ابن عطية ١٣/ ٤٧٥.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٤٠٥.

(٣) تفسير ابن عطية ١٥/ ١٥٧.

(٤) (٥) ديوان ابن اللبّانة / ٢٣٢/ ٢٤٧ جمع وتحقيق د. منجد مصطفى.

(٦) إغاثة الأمة بكشف الغمة / ٩٨.

(٧) (٨) معيد النِعَم ومبيد النِقَم ١٥٣/ ١٥٤.

(٩) (١٠) (١١) (١٢) إغاثة الأمة / ٦١/ ٦٣/ ٦٤/ ٦٧.

(١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) إغاثة الأمة / ٧٨/ ٨٤/ ٨٩/ ٩١.

(١٨) (١٩) إغاثة الأمة / ٩٢/ ٩٧.

(٢٠) تاريخ الجبرتي ٣/ ٧٣-٧٤ طبعة دار الكتب العلمية.

(٢١) تاريخ الجبرتي ٣/ ٤٣٣-٤٣٤.

(٢٢) (٢٣) (٢٤) إغاثة الأمة / ١٠٨/ ١١٢/ ١٥٥.

(٢٥) من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، لخليل ساحلي أوغلي / ١٢٠، نشر مركز الأبحاث للتاريخ والفنون / أستانبول.

(٢٦) تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، د. عباس صباغ / ٨١، دار النفائس.

(٢٧) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصبهاني / ٣٨٨/ ٣٥٤.

(٢٨) تاريخ الجبرتي ٣/ ١٠٣-١٢٠ مواطن متفرقة.

(٢٩) تاريخ الجبرتي ٣/ ١٢٦/ ١٢٧/ ١٢٨/ ١٣٧.

(٣٠) (٣١) تفسير ابن عطية ٢/ ٣٧٢، ٣/ ١٩٨.

(٣٢) تاريخ الجبرتي ٣/ ٤.

هذا الرصد لحركات الحياة

- رسائل إبداعية في فقه التخطيط وفلسفته ومَنطِقه العقلي.
- وتحليل إيماني.. وعملي.. وجمالي.. لمنظر الحياة الشامل.
- وإحصاء للنبضات التحريكية... والومضات الفكرية التي تقود .
- مع بيان الأصول المعنوية والجذور النفسية لأنواع الخلجات والمواقف .
- وكشف العلاقات بين التصرفات والأفعال وردودها .
- وأشكال التحديات الحيوية والمنافسات بين الفرقاء .
- في محاولة لاكتشاف المعادلات التي توجّه الحياة . . .
- وتعيين نسقات الأسباب المؤثرة والمعاني المتداخلة .
- ورسم صورة فسيفسائية شاملة للحياة من خلال صورها الجزئية .
- وإيراد كل ذلك بأُسلوب بليغ، عبر استعراض إشارات الشعراء، وفحوى التاريخ، وشواهد العلم، وأحوال المخلوقات، وتجارب البشر، ومدلولات اللغة، قواعد الاستنتاج .
- والغاية : تعليم كيفيةُ السيطرة على هذه الحركة الحيوية العاصفة .
- و((بطل)) هذه الحركة الحيوية الذي يراد له أن يستفيد منها ويدرسها ويحاول تذليل حقائقها وقواها ومعادلاتها لمصلحته هو ((مسلم مثالي)) يتسمى حسب السياق الموضوعي الذي يرد وصفه فيه بأسماء عديدة متقاربة المعنى . . .
- فهو ((المسلم العصري)) في أغلب الأحيان، أو ((المتصدي الذكي)). .
- وربما كان هو ((المسلم التخطيطي)) أو ((المنهجي العلمي)) أو ((رائد التمكين)).
- أو ((المؤمن الإبداعي)) أو ((المسلم الواعي)) أو ((الوسطي الموزون)) . .
- وربما كان هو ((المسلم الحضاري)) الذي ينظر بعين المعرفيات كلها . .
- فكل هؤلاء العشرة : شخص واحد، زكت نواياه، وأخذ يدأب في الإصلاح، ويفتش عن سبيل تأثير أوفى يُعزّ الله به عبادَه الصالحين، وإنما تنوعت ألقابُه تماشيا مع دلالات السرد والشرح .
- والحر تكفيه . . . الإشارة . .



دار ابن حزم

بيروت ـ لبنان ـ ص. ب: 14/6366
هاتف: 300227 ـ فاكس: 701974
Email: Ibnhazim@cyberia.net.lb



نتواجد
دار الأمة للنشر والتوزيع
01/2481705
دار الأندلس الخضراء / جدة
02/6815027



للتواصل 01 2481905
02 6810578
alomah@gawab.com

الموزعون 0554481905
0544046062